عالمية الإسلام

obeikan.com

obeikan.com

عالمية الإسلام [٢٤]

فى الإسم :

خلق الله الناس جميعا من أصل واحد ، فهم متساوون فى مصدر الخلق ، وفى العناصر التى تتكون منها أجسامهم . يقول الله تعالـــى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ .

[النساء : ١]

لذا اشترك الناس فى الخصائص الإنسانية العامة ، وفى الصفات الأصلية التى يقوم عليها مفهوم الإنسانية .

غير أن حكمة الله اقتضت أن يكون لاختلاف التضاريس ، وتباين المناطق الجغرافية أثره على ملامح المجموعات البشرية ، فتمايزت كل مجموعة عن الأخرى : فى الحجم ، والشكل ، واللون . واختلفت مشارب كل منطقة عن الأخرى ، فتنوعت أساليب حياتهم ، وكثرت أشكال عاداتهم وتقاليدهم ، واختلفت تبعاً لذلك انتماءاتهم ، سواء كان ذلك على مستوى المجموعات الكبيرة كالأمم والشعوب ، أو فى حدود التجمعات الصغيرة كالقبائل والأسر ، أو فى إطار الذاتية كالأفراد والأشخاص .

ولولا هذه الاختلافات ، لأصبح من العسير تمييز شخص عن آخر ، أو تحديد ملامح سكان منطقة ما ، وفصلها عن غيرها من سكان المناطق الأخرى ، فتختلط الأمور وتتشابك ؛ إذ يصبح كلٌّ شبيهاً بالآخر ، ويصير الجميع نسخة مكررة ، لا ملامح للتمييز ، ولا معالم للتفريق ، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى فى قوله تعالى :

[٢٤]) راجع كتابنا : " الإسلام كما ينبغى أن نعرفه "

obeikan.com

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴿١٣﴾ ﴾
[الحجرات : ١٣]

أى ليعرف كل منكم الآخر ، عن طريق الملامح المميزة له ، والعادات والتقاليد التى تفصله عن الآخر على هيئة شعوب وقبائل ، أى ليعرف كلٌّ منكم أن هذا ينتمى إلى هذا الشعب أو ذاك ، وأن ذاك فرد من أبناء هذه القبيلة أو تلك . غير أن هذا الاختلاف أوحى إلى بعض المفكرين ودعاة المذاهب الفكرية بالتفاضل بين الأجناس ، لدرجة أنهم نسوا أن الناس خلقوا من أصل واحد ، فدعوا إلى نظرية تعدد أصول الأجناس البشرية ، وتأثر بهذا بعض رجال الدين ، فاعتقدوا أن الله فضل جنسهم على سائر الأجناس البشرية .

فإذا كانت مبادئ الدين واتجاهاته التشريعية ، تحمل هذه المظاهر المحلية ، وتعامل الناس على أساس الفروق البيئية . فتعالج مشاكل قبلية أو إقليمية فقط ، دون أن تتجاوزها إلى المشاكل العالمية التى لا تختص بإقليم دون آخر ، وتنحصر داخل حياة طائفة من الناس دون أخرى فهو دين محلى ، يختص بإقليم دون آخر ، أو يخاطب شعباً دون غيره من بقية الشعوب .

ولو استعرضنا الأديان المعروفة – والمشهورة – لتبين لنا من أول وهلة أنها أديان محلية ، لا تحمل صفة العالمية ويظهر ذلك واضحاً ، لو لاحظنا – على سبيل المثال – الأسماء التى عُرِفت بها تلك الأديان : فالنصرانية ، نسبة إلى قرية الناصرة ، وهى تسمية توحى بالانحصار فى الإقليمية ، واليهودية نسبة إلى يهودا ، وهو تحديد بشخص معين ، وكذلك البوذية ، والمانوية ، والزرادشتية ، وغيرها من الأديان الأخرى .

أما الإسلام ، فهو دين عالمى فى : تسميته ، ومبادئه ، وأحكامه ، وتشريعاته ؛ فهو لم يتخذ اسماً خاصا بأحد ، ولم ينسب إلى فئة معينة ، أو قبيلة خاصة ، يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٩]

ويقول :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٦٧]

فهو دين التسليم لله ، وهى صفة لا تخص مجموعة دون أخرى من الناس ، بل هى عامة عند الجميع، يقول الله تعالى :

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٨]

وهكذا نرى من النظرة الأولى فى الأديان – نظرة الاقتصار على مجرد النسبة – أن تسمية الإسلام توحى بأنه دين عام للمخلوقات كلها ، وللناس كافة .

فى الوحى :

فإذا انتقلنا من التسمية إلى الوحى ، وهو أساس كل رسالة دينية ، لوجدنا أن الوحى الذى أنزل على محمد ﷺ قد اشتمل على خصائص كل ما أنزل على الرسل من قبله ، يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء : ١٦٣]

فالتعبير بالنبيين من بعد نوح ، يشير إلى أن القرآن الكريم جمع كل صفات الكتب السابقة التى أنزلت على الأنبياء جميعاً ، مما صيره تشريعاً عاماً لجميع الناس .

كذلك التفصيل ثم الإجمال فى قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ ..... إلى أن قال : وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ ؛ يؤكد عموم رسالة الإسلام ، لأنها جمعت كل الخصائص التى اشتمل عليها كل وحى نزل قبل الإسلام ، وبناء عليه فهى لجميع البشر على اختلاف أقاليمهم ، وتنوع عاداتهم وتقاليدهم .

ولهذا جاء التعبير فى آيات القرآن الكريم بكلمة - **الإنسان** - التى يندرج تحتها كل أجناس البشرية ، يقول الله تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ ﴾ [العلق : ١-٥]

ولو أحصينا الآيات التى ورد فيها ذكر هذه الكلمة التى تطلق عى البشرية جمعاء ، وهى: (**الإنسان**) لوجدنا أنها ذُكِرَت فى أكثر من ستين آية .

فى المسئولية :

وأهم من هذا فى مفهوم عالمية الإسلام ، أنه أكد مسئولية الفرد واستقلاله عن الارتباط فيها بالخصائص التى تفصله عن الهيكل الكلى للمجموعة البشرية : كالقبيلة ، أو العشيرة ؛ فليست المسئولية تابعة لخصائص عرقية أو إقليمية ، وإنما ترجع إلى الإنسان كفرد ، وهو يشترك فى هذا التخصيص مع كل إنسان فى أى إقليم ، وداخل أى مجموعة عرقية ، أوقبلية ، يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ⑦٢ ﴾ [الأحزاب : ٧٢]

ويقول :

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ⑬ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ⑭ ﴾ [الإسراء : ١٣- ١٤]

فالمسئولية تقع على عاتق الفرد وحده ، بعيداً عن أهله الذين تميز بهم عن غيره من أفراد الإنسانية ، وبعيداً عن إقليمه الذى فصله عن غيره داخل حدود معينة ، وعادات وتقاليد مختلفة عن غيرها من تقاليد الأقاليم الأخرى وعاداتهم ، فهى – أى المسئولية – قد حملته من داخل هذا الإطار الضيق إلى فضاء واسع ، وهو : **العالمية** ، حيث يشعر بأنه أخ لكل إنسان على وجه الأرض .

وطبيعة الأمور تقتضى بأنه مادام الاسم عاماً ، وهو : (الإسلام) ، والوحى يتضمن كل خصائص الوحى السابق ، والمسئولية تقع على عاتق الإنسان باعتباره إنساناً ، لا بكونه فردا من قبيلة أو شعب . فالإسلام بناء على هذا هو : رسالة الله للناس كافة ، وللإنسان الذى استخلفه الله فى الأرض ، أينما كان ، وحيثما وجد ، فهو دعوة عالمية فى طبيعتها ومفهومها .

وقد صرح القرآن الكريم بهذا فى كثير من آياته ، يقول الله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ [سبأ : ٢٨]

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩ ﴾ [الصف : ٩]

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ﴾ [الفرقان : ١]

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ ﴾ [سورة ص : ٨٧]

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٠ ﴾ [يس : ٦٩-٧٠]

فكل هذه الآيات توضح مفهوم العالمية فى الإسلام ، وهى دليل يؤكد ما بيناه من خصائص مَنْ تقع المسئولية على عاتقه ، وهى خصائص يندرج تحتها كل إنسان على وجه الأرض .

فى ملاءمته لفطرة الإنسان :

تموج أقطار الأرض بتيارات فكرية ، مختلفة المنابع والأصول ، ومتعددة المذاهب والاتجاهات ، ومتلونة الأشكال والأحجام . وليس هذا قاصراً على المذاهب ذات الصبغة المادية ، بل هو أيضاً بين

الأديان والمذاهب الروحية ، سواء منها ما كان بشرياً أرضياً فى أصله ومساره ، وما كان منها سماوياً فى مبدئه ، ثم تحول إلى مسار بشرى عن طريق ما علق به من أفكار الإنسان واتجاهاته الخاضعة لظروف مختلفة ، ومؤثرات متعددة ، فإذا بحثنا فى هذه المذاهب الفكرية ، والاتجاهات الدينية ، عن مدى القدرة فيها على استيعاب ظروف الإنسان فى كل مكان على وجه الأرض ، لتبين لنا أن ما كان منها موافقاً لطبيعة الإنسان فهو القادر على تهذيبه وتقويمه ، دون أن يكلفه بما لا يطيق ، ومن غير أن يلقنه أشياء بعيدة عن واقعه الإنسانى .

ولما كانت قدرات الإنسان غير متساوية ، وإمكاناته متفاوتة ، فينبغى أن يكون الدين الذى ينظم حياته مشتملاً على برنامج تربوى واضح ، يتسع لكل الظروف الإنسانية ، ويعالج كل المشاكل التى تعترض طريق الإنسان ، وفى الوقت نفسه يكون سهل التطبيق ، يسيراً على النفس الإنسانية ، مطابقاً لقدرات الإنسان العقلية ، والجسمية ، مراعياً الظروف الطبيعية المحيطة به . فإذا وُجِد هذا التكامل فى أى دين فهو دين عالمى ؛ لأنه يصلح للتطبيق مع كل إنسان ، وتحت كل الظروف النفسية ، وفى كل الأجواء المناخية .

ولا يجتمع هذا إلا فى الإسلام ؛ ففيه الوضوح ، واليسر ، والسهولة ؛ إذ أنه خلا من التعقيدات الفلسفية ، التى لا يفهمها إلا مجموعة قليلة جداً من العلماء ، أطلقوا على أنفسهم مصطلح " الخاصة " ، أى المتخصصين فى هذا الفن . وليس فيه المبهمات والمُعَمَّيات ، التى كثرت فى الأديان المنتشرة فى بعض مناطق الكرة الأرضية . وفى الوقت نفسه ، جاءت أحكامه وتشريعاته سهلة ميسرة ، بحيث يستطيع كل إنسان الالتزام بها ، دون مشقة أو عناء ، لأنها موافقة للطبيعة ، ومنسجمة مع متطلبات تكوينه الفسيولوجى والنفسى . فالإسلام مناسب لفطرة الإنسان ، وغير مناقض للمسلمات العقلية التى يعتنقها ، ولا يتصادم مع حريته الإنسانية ، التى تبنى كيانه ولا تدمره ، وتحافظ على وحدة مجتمعه ولا تمزقها .

فمن يقرأ القرآن الكريم يجده سهل المنال ؛ إذ يستطيع أن يجد فيه متعته النفسية والروحية ، ويفهم منه ما يحتاج إليه فى تنظيم حياته مع نفسه ، ومع الآخرين الذين يعيشون معه ، سواء أكانوا مشاركين له فى تجمعات بشرية معينة ، كالأسرة ، والأمة ، أو متعاملين معه فى الحياة فى دائرة أوسع من هذا التقييد الأسرى أو الوطنى .

ففى مجال التيسير على المؤمنين ، نجد القرآن الكريم يشير إلى أن الله لم يرد من التكليف إلا تهذيب الإنسان ، دون أن يصيبه عنت أو حرج ، يقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ ﴾ [المائدة : ٦]

ويقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ٧٨ ﴾ [الحج : ٧٧- ٧٨]

ويقول :

﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ١٨٥ ﴾ [البقرة : ١٨٥]

و لم يفرض الحج إلا على المستطيع ، يقول الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران :٩٧]

ولم يقتصر أمر التيسير على الفرائض المكتوبة المتعلقة بالعبادات فقط ، بل هو القاعدة فى كل ما يطلبه الإسلام من الإنسان ، يقول الله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

كذلك وافقت تعاليمه فطرة الإنسان ؛ فأحكامه جاءت لصالحه ، من حيث إنه إنسان ، بمعنى أنها شريعة الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، يقول الله فى بيان طبيعة الإسلام :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم : ٣٠]

فالمقصود بالفطرة فى هذه الآية : هى طبيعة الإنسان الجامعة بين العالمين : المادى والروحى ، بما أودع الله فيها من غرائز ، أى أن الإسلام راعى هذه الفطرة فى بناء التكاليف عليها ، بحيث لا تكون مصطدمة معها ، أو مهملة لمقتضياتها المادية والروحية ، يقول الله تعالى :

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص : ٧٧]

فهو ليس ديناً مغرقاً فى الروحانية ، وليس مذهباً تسيطر عليه المادية ، بل هو فطرة تتمشى مع طبيعة الإنسان ، وبهذه الميزة كان ملائماً لجميع الأجناس البشرية ، فتقبله النفوس ، على اختلاف مستوياتها ، وتباين طرق حياتها ؛ لأنه يلبى مطالب الحياة بالقدر الذى يصلحها ، ويجعل النشاط فيها ذا أثر فعال فى جميع مجالات الإنتاج الذى يعود على الإنسان – بوصفه إنساناً – بالخير والسعادة ، والأمن والأمان .

في عقلانية أحكامه وتشريعاته :

ومن الجوانب التي أكسبت الإسلام صفة العالمية : قيام أحكامه وتشريعاته على أسس عقلية ، يفهمها كل إنسان يتمتع بهذه الميزة التي ميز الله به الإنسان على سائر الكائنات الحية الأخرى ، وأكبر دليل على ذلك أن أول آية نزلت من القرآن الكريم خاطبت العقل ، وحثته على التفكير في نفسه، وفي كيفية خلقه ، يقول الله تعالى :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق : ١-٥]

كما أنه حث على استعمال العقل فيما حول الإنسان في آيات كثيرة من آيات القرآن الكريم ، نذكر منها قوله تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) ﴾ [البقرة : ٢١٩]

وقوله :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) ﴾ [الأنعام : ٥٠]

وقوله :

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ (٨) ﴾ [الروم : ٨]

﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾ [الأعراف : ١٧٦]

وغير ذلك من الآيات التي تثير في الإنسان مكامن التفكير وتحمله على النظر فيما يحيط به ، ليستخدم القوى العقلية فيه ، وهي عامة لدى جميع البشر .

ويترتب على هذا ذم التقليد ؛ لأنه يشل تفكير الإنسان ، ويحط من قدره ، ويجعله عالة على غيره ، وذلك ضد طبيعة الإنسان ؛ وقد نزلت آيات عديدة تسفه أحلام الذين ساروا ضد هذه الطبيعة ، فألغوا عقولهم ، وساروا مع كبرائهم ، دون أن يستخدموا عقولهم التي وهبهم الله إياها ، لتقودهم إلى ما فيه الخير والسعادة ، يقول الله تعالى :

obeikan.com

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١-٥٤]

ويقول :

﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأحزاب : ٦٧]

وبناء على حث الإسلام على استخدام العقل ، فلا توجد حقيقة دينية فيه مخالفة للحقائق العقلية ، مما جعله صالحاً لكل الناس على وجه الأرض ؛ لأنه يخاطب العقل الذى يشترك فيه جميع البشر ، فليس فى القرآن الكريم حقائق تختص بجنس دون آخر ، أو تناسب قوماً دون غيرهم من أقوام الأرض ، فالكل مشترك فى الأداة التى يتوجه إليها القرآن الكريم بأوامر الله ونواهيه ، ألا وهى : (**العقل**) .

الإسلام دين عالمى ، بما فيه من يسر وسهولة تمكن كل الناس ، مهما اختلفت قدراتهم العقلية والجسمية من : تأدية فرائضه وأحكامه ، وتهيئ الظروف لكل مجتمع بشرى ، لتطبيق شرائعه ، دون حرج أو مشقة فى هذا التطبيق ؛ لأنه يلائم الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، كما يخاطب العقل ، الذى يشترك الناس جميعا فى استخدامه ، كأداة تهديهم سواء السبيل فى معترك الحياة .

فى حرية الفكر والتعبير :

تشغل قضية الحرية حيزاً كبيراً فى الفكر الإنسانى ، إذ ما زالت تتصدر قائمة مبادئ كل مذهب فكرى ، على أساس أن حرية الإنسان يجب أن يكفلها كل نظام يريد لنفسه البقاء ، وتحافظ عليها كل أيديولوجية تنشد الانتشار بين الناس ، ويدعو إليها كل المفكرين المشتغلين بقضايا الإنسان والمجتمع ؛ ذلك أن الحرية هى إحدى الدعائم الرئيسية التى يقوم عليها بناء الإنسان بوصفه عضواً صالحاً فى مجتمع قوى متماسك ، فإن لم توجد فى المجتمع البشرى ضعف أفراده ،

وانحلت عقدة التماسك فيما بينهم ، فتناثروا فى مهب الريح ، لا يجمعهم هدف ، ولا يمسكهم مبدأ يرون فيه كيانهم ووجودهم .

ولهذا قدس الإسلام الحرية ، فدعا إلى كفالتها ، ولو أدى ذلك إلى عدم الاعتراف به ديناً ، يقول الله تعالى :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]

ويقول :

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس : ٩٩]

ويقول :

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف : ٢٩]

فالله يبين لرسوله ﷺ فى هذه الآيات أن الإيمان متروك لحرية الإنسان ، فلا ينبغى أن يُمارَس الإكراه لحمل الناس عليه ، لأنه لو شاء الله لأكرههم على الإيمان ، ولكنه تركهم بحريتهم ، ليكون الإيمان نابعاً من ذات الشخص نفسه حتى يثمر إيمانه ، لأن العمل لايكون نافعاً إلا إذا فعله الإنسان، وهو فى كامل حريته .

ولهذا نظر الإسلام إلى المجتمع نظرة شمولية ، فهو لا يفرق بين الناس على أساس معتقداتهم ، بحيث يسلبهم حريتهم بسبب هذه المعتقدات ، بل كفل لهم أسس العيش فى سلام واطمئنان داخل المجتمع الإسلامى ، وأعطاهم حرية كاملة فى ممارسة بناء المجتمع ، فلا زال قول عمر بن الخطاب ﷺ : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " .. .. ناقوساً يرن فى آذان كل المجتمعات البشرية ، معلناً أن المسلمين طبقوا قواعد الحرية كما أمرهم الإسلام ، واستنكروا كل ما من شأنه أن يسلبها من المجتمع ، لأنها أساس كيان الإنسانية ، ودعامة استقرار المجتمع على قواعد ثابتة ، لا تتزعزع أمام عواصف الدهر وتقلبات الأيام .

obeikan.com

ومما يدل على سماحة الإسلام ، أن الرسول ﷺ عقد مع نصارى نجران عقداً مع بقائهم فى أماكنهم ، وإقامتهم فى ديارهم ، دون أن يكون معهم أحد من المسلمين ، وقد تضمن هذا العهد حمايتهم والحفاظ على حرياتهم الشخصية والدينية ، والانتصاف من لظالم . وقام الخلفاء من بعده على تنفيذه حتى عهد هارون الرشيد ، فأراد أن ينقضه ، فمنعه محمد بن الحسن ، صاحب الإمام أبى حنيفة ، وفى هذا دلالة واضحة على روح التسامح فى معاملة غير المسلمين ؛ إذ حافظ على حرياتهم فى العبادة ، وفى إقامة شعائرهم الدينية من غير تضييق عليهم ، ولا تعكير صفو الجو الروحى لطقوسهم الدينية ، لأنه احترمها ، واتخذ من الإجراءات ما يحمى قداستها .

فتقديس الإسلام للحرية من أهم معالم العالمية ، لأنه فتح بذلك الباب على مصراعيه لكل الناس ، لينضووا تحت لوائه دون خوف أو وجل ، ويستظلوا بظله ، من غير أن يشعروا بالغربة ، أو يحسوا بأن مبادئه تصطدم مع طبيعتهم ؛ فكل إنسان يجد مبتغاه ، ما دام ملتزماً بالقواعد الاجتماعية ، ومنفذاً للقوانين التى تحافظ على الفرد والمجتمع ، لا فرق فى ذلك بين من آمن به ، ومن ارتضى العيش فى ظل دولته ، إذ لا يضار أحد فى نفسه أو أهله ، أو ما يملك ، ولا يحجر على أحد فى إبداء رأيه ، أو فى التعبير عن فكره ، ما دام فى إطار المصلحة العامة ، أو فى المجال الخاص الذى لا يؤثر على أمن الدولة ، أو الذى لا يلحق ضرراً بالمواطنين .

وقد أدرك المسلمون هذه الروح الإسلامية ، فعاملوا غير المسلمين معاملة طيبة فى جميع العصور، من بدء ظهور الإسلام حتى اليوم . وكتب التاريخ مليئة بالأحداث التى تُظْهِر هذا الجانب من معاملة المسلمين لغيرهم ممن بقوا على عقائدهم ؛ فقد روى أن عمر بن الخطاب ﷺ مر بباب قوم وعليه سائل يسأل - وكان شيخاً ضريراً - فضرب عمر عضده ، وقال له : من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودى . قال عمر : فما ألجأك إلى هذا ؟ أسأل الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده وذهب به إلى مترله ، فأعطاه مما وجده ، ثم أرسل به إلى خازن بيت المال ، وقال له : انظر هذا وضرباءه فاعطهم مايكفيهم.. .. فو الله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، والفقراء هم فقراء المسلمين ، وهذا من المساكين ، من أهل الكتاب ، ثم وضع عنه الجزية .

انحلت عقدة التماسك فيما بينهم ، فتناثروا فى مهب الريح ، لا يجمعهم هدف ، ولا يمسكهم بدأ يرون فيه كيانهم ووجودهم .

ولهذا قدس الإسلام الحرية ، فدعا إلى كفالتها ، ولو أدى ذلك إلى عدم الاعتراف به ديناً ، نول الله تعالى :

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]

ويقول :

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس : ٩٩]

ويقول :

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف : ٢]

فالله يبين لرسول ﷺ فى هذه الآيات أن الإيمان متروك لحرية الإنسان ، فلا ينبغى أن يُمارَس كراه لحمل الناس عليه ، لأنه لو شاء الله لأكرههم على الإيمان ، ولكنه تركهم بحريتهم ، ليكون يمان نابعاً من ذات الشخص نفسه حتى يثمر إيمانه ، لأن العمل لايكون نافعاً إلا إذا فعله نسان، وهو فى كامل حريته .

ولهذا نظر الإسلام إلى المجتمع نظرة شمولية ، فهو لا يفرق بين الناس على أساس معتقداتهم ، يث يسلبهم حريتهم بسبب هذه المعتقدات ، بل كفل لهم أسس العيش فى سلام واطمئنان داخل تمع الإسلامى ، وأعطاهم حرية كاملة فى ممارسة بناء المجتمع ، فلا زال قول عمر بن لخطاب ﷺ : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " .. .. ناقوساً يرن فى آذان كل تمعات البشرية ، معلناً أن المسلمين طبقوا قواعد الحرية كما أمرهم الإسلام ، واستنكروا كل ما ن شأنه أن يسلبها من المجتمع ، لأنها أساس كيان الإنسانية ، ودعامة استقرار المجتمع على قواعد بتة ، لا تتزعزع أمام عواصف الدهر وتقلبات الأيام .

والأدب ، والطب ، واللغة ، والتصوف . وكانت تلك الحضارة تأليفاً وتوحيداً لكل الحضارات قبلها فى : الصين ، والهند ، وفارس ، والروم ، واليونان .

شيد المسلمون على كل هذه الأسس بناءً حضارياً ضخماً ، اشترك فيه العلماء من جميع الأجناس والأديان ، فكانت بحق حضارة لجميع أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، ثم انتقل هذا التراث الحضارى إلى الأجيال اللاحقة ، فكان مصدراً للحضارة الحديثة ، وقد عبر أحد العلماء عن دور المسلمين فى بناء الحضارة الإنسانية بقوله : " إن المسلمين لم يحرصوا فقط على أن يكونوا ورثة الأنبياء ، بل ورثة الفلاسفة كذلك ."

فالإسلام دين عالمى ، لأنه لم يغرس فى نفوس المسلمين حقداً ضد أى طائفة أخرى من البشر تعتنق دينا آخر ، ولم يُحَرِّم عليهم التزود بأى نوع من أنواع الثقافات الإنسانية ، ولم يفرض عليهم شيئاً يعزلهم عن غيرهم من أجناس البشرية ، ولم يأمرهم بإجبار أحد على اعتناق الإسلام ، فكان بذلك ساحة ضمت جميع الناس ، وبوتقة صهرت جميع الثقافات ، ووادياً أمن فيه الناس على أنفسهم ، وعقائدهم ، وأفكارهم ، واطمأنوا على سلامة أموالهم وممتلكاتهم ، نظروا إليه غير خائفين، وفكروا فى مبادئه غير وجلين ، ودرسوا أحكامه فى جو من الحرية والديمقراطية ، فجاء اعتناق من اتخذه ديناً عن رغبة واقتناع ، وعاش فى ظل دولته من بقى على دينه آمناً مطمئناً ، يسعى إلى رزقه ، ويشارك فى مجالات الدولة المختلفة تحت راية الإسلام التى ترفرف معلنة أنها مظلة الإنسان ، من حيث هو إنسان ، لأنه عبد الله ، الذى أنزل هذا الدين على محمد ﷺ .

فى ملاءمته للتطور والتجديد :

خلق الله الكون ، وجعل الحركة مبعث الحياة فيه ، فلو توقفت هذه الحركة لانعدمت الحياة كلية ، ومن لوازمها التغيير الدائم ؛ إذ لا يستمر شيئ على وجه لأرض على حالة واحدة فى لحظتين ، بل هو فى تفاعل مستمر ، وتغيير مطرد ، ولهذا نرى أن المجتمعات التى لا تدرك هذا القانون الإلهى ، يصيبها الشلل عندما تبطئ حركتها ، أو تتجاهل حتمية الحركة التى هى أساس التطور والتقدم ، ومنبع الرقى وبنا الحضارات .

ولما كان هذا المبدأ هو أساس التقدم المطرد ، فإن من المحتم ألا يبقى مظهر من مظاهر الحياة ثابتاً ، وإلا كان عائقاً يعوق سير الحياة فى مجراها الطبيعى ، لذا كان لابد للإنسان أن يغير فى أسلوب حياته كى يتلاءم مع سنة التطور ، ويعدل فى قوانينه لتنسجم مع صور الحياة المتجددة ، وتلبى احتياجات المجتمع التى تنشأ عن التفاعلات المستمرة فى الظواهر الاجتماعية . فإن تقاعس أبناء الأمة عن القيام بهذا العمل ، أو اعتقدوا أن ما خلفه الأجداد لهم أمر لا ينبغى تغييره ، لأنه من الأمور المقدسة التى لا يجوز محوها ، أو الاستغناء عنها ، أو تعديلها فقد حكموا على أنفسهم بالجمود ، وضربوا بينهم وبين التقدم سياجاً يحول بينهم وبين مشاركتهم فى بناء الحضارة العالمية .

وإن كان جمودهم على القديم بسبب عجزهم عن فهم طبيعة الحياة ، وتخاذلهم عن الإسهام فى حركة التقدم الإنسانى ، وقصورهم الفكرى عن التأثير فى مجالات الحياة الفكرية ، فتلك آفة تصاب بها المجتمعات الإنسانية من حين لآخر ، ومرض يفتك بالحيوية الخلاقة التى أودعها الله فى الإنسان ، ليقوم بمهمة استخلافه فى الأرض .

وعلى الرغم من قانون التغيير الذى هو طابع الحياة فإن هناك ظواهر ثابتة تتحرك بهيئتها وطبيعتها داخل عجلة الزمن التى لا تتوقف عن الدوران ، فهى بمثابة الأعمدة التى تمثل المركز الذى يجمع بأطراف المتغيرات المستمرة فى الظهور و العدم ، ولولا ذلك لانهار كل ما على الأرض أثناء هذه التحولات المستمرة .

ويبدو ذلك واضحاً فى النظم والقوانين التى ترسم للمجتمعات طريقها فى الحياة ، وتحافظ على كيان الأمة من أن يصيبه الانهيار والدمار ، وتحفظ طابع الحياة الذى يتمثل فى الاستقرار ، والأمن ، والسعادة لبنى البشر ؛ ذلك أنه لو أصيبت هذه القوانين بالجمود لجمدت الحياة ، وتخلف ركب الحضارة الإنسانية ، ولو خلا كلية من عناصر ثابتة ، ومبادئ مستقرة ، لأصيب المجتمع بحمى التغيير السريع ، والتبديل المستمر ، الذى لا يهدأ ولا يستقر ، فترتبك الحياة وتضطرب ، وتختلط الأمور وتتشابك ، فتقع العقول فى حيرة ، وتصاب الأمة بالشلل ؛ إذ تعجز عن تحديد مفاهيم ما يدور حولها ، فما كان بالأمس صالحاً أصبح اليوم طالحاً ، وما تمسكت به فى الماضى القريب ، لاعتقادها أنه مناسب لها ، تستنكره اليوم ، وتنظر إليه بعين الاستهزاء والسخرية .

obeikan.com

ولهذا كان لابد من أن تشتمل النظم و القوانين على مبادئ كلية ثابتة لا تتغير ، حتى يكون للحياة استقرارها ، ولسلوك الناس فى حياتهم الاجتماعية أسس لا تتغير ، ومبادئ كلية لا تتبدل ، ولا يمكن للعقل البشرى أن يضع مثل هذه النظم والقوانين ، لأن إمكاناته الذهنية مرتبطة بعصره ، ومحددة بإقليمه ، لذا كان لابد لتحقيق هذين العنصرين - وهما : عنصر الثبات فى المبادئ الكلية ، وإمكانية التغيير فى التفاصيل الفرعية لمواجهة التغيير المستمر - من أن تكون قدرة واضع هذا القانون الذى يشتمل على هذين العنصرين غير محددة الزمان والمكان ، ليستطيع وضعه كاملاً ، دون أن يصيبه خلل ، أو ضعف ، أو يطرأ عليه فى وقت ما عدم ملاءمة الظروف المتغيرة ، ولا يقدر على هذا إلا الله ﷻ .

فقد أنزل الله التشريع الإسلامى على محمد ﷺ متطابقاً مع نظام الكون ، ومنسجماً مع كل ما يطرأ من تغييرات ، أو يظهر على سطح الحياة من ظروف متجددة ، ذلك أنه تضمن قواعد كلية لكل الأزمنة والعصور ، وتتمشى مع ما ينبغى أن تكون عليه الحياة من الاستقرار ، وتتفق مع الظواهر التى يشترك فيها جميع الأجناس البشرية . ومع ذلك فقد تركت التفاصيل والتفريعات لعقل الإنسان ، يستخلصها حسب عصره وبيئته ، ويستنتجها طبقاً لمتطلبات ظروفه المحيطة به ، بحيث تلبى احتياجات العصر ، وفى الوقت نفسه لا تخرج عن الخط الرئيسى الذى رسمه الإسلام ، كمبدأ عام يلتزم به الجميع ، أو كدستور يتخذه الناس قاعدة تشريعية أصلية ، يبنى حسها كل ما يقررونه من قوانين ، وما يرسمونه لأنفسهم من لوائح ونظم .

فالقضايا الكلية فى الإسلام هى قواعد التشريع الأساسية التى تصلح لكل شعب ، وتلبى احتياجات كل المجموعات البشرية ، على اختلاف ألوانها وأجناسها ، وتتناسب مع كل عصر وبيئة ؛ إذ يتخذها الجميع أساساً يستنتج منه أحكام لكل القضايا ، وعلاج لكل المشكلات التى تواجه الإنسان و المجتمعات ، فكانت هذه المبادئ الرئيسية فى التشريع أساساً للاجتهاد - فى مجال الأحكام الشرعية - الذى بمقتضاه تكونت المذاهب الفقهية ، فزخرت بالأحكام والتفريعات التى كانت منها فروض مقدرة الحدوث فى الأزمان المستقبلة .

فكان هذا العمل فى مجال التشريع دليلاً على مرونة الفقه الإسلامى وصلاحيته لمواجهة الأحداث التى تظهر ، نتيجة لديناميكية الحركة فى مجالات الحياة المختلفة ، وعنصراً جوهرياً فى مفهوم عالمية الإسلام .

فقد جاء فى القرآن الكريم آيات كثيرة ، رسمت قضايا كلية فى مجالات الحياة المختلفة ، نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشورى : ٣٨]

فهذه قضية توضح أن الإسلام يحث على ألا يكون الأمر فى المجتمع ديكتاتورياً ، بل ينبغى أن يقوم على أساس الشورى ، ولم يحدد لهذه الشورى صيغة معينة ، بل تركها لظروف كل عصر ، وطبيعة كل بيئة .

كذلك لم يحدد فى قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف : ٣٢] أنواع الزينة ، أو أشكالها وهيئاتها ، بل ترك ذلك لمقتضيات الزمان والمكان ، بشرط ألا يكون فى ذلك اقتراف لمعصية ، أو تناول خبيث ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف :١٥٧]

فهذه وأمثالها أمور كلية وضعت الأساس الذى يحفظ كيان المجتمع ، وحددت الإطار الذى يتحرك بداخله الفقهاء والمشرعون لمواجهة متطلبات العصر والبيئة .

وخلاصة القول : إن الإسلام جاء موافقاً لقوانين الحياة ؛ فرسم قواعد ثابتة ، وترك التفصيلات والتشريعات للفقهاء ، لتكون مجالاً للاجتهاد والاستنباط ، سعياً وراء الصيغ القانونية التى تلائم بيئاتهم وعصورهم ، وعلى هذا الأساس وُجِّهَت الدعوة إلى كل من على وجه الأرض ليدين بالإسلام ، لأنه النظام الوحيد الذى يوافق طبيعة الحياة وحركتها المستمرة ، ويتلاءم مع ما

Obeikandi.com

تتطلبه من قواعد ثابتة ، تقوم عليها هذه المتغيرات ، كى لا تنهار ، أو تتبدد معالمها ، وسط هذا السيل الجارف من الأحداث المتجددة .

فدعا رسول الله ﷺ الناس كافة إلى الدخول فيه قائلا : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، كما بعث بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، فقد رُوِىَ : أن رسول الله ﷺ لما رجع إلى المدينة من الحديبية ، فى ذى الحجة سنة ست ، أرسل إلى الملوك ، فخرج ستة نفر منهم فى يوم واحد ، وذلك فى المحرم سنة سبع ، فبعث كتاباً إلى النجاشى ملك الحبشة ، وإلى هرقل عظيم الروم ، وإلى المقوقس عظيم القبط ، وإلى كسرى عظيم فارس . وأرسل كذلك إلى غيرهم على حدود الجزيرة العربية ، فأرسل إلى أهل نجران وسائر مَنْ ينتحل دين النصرانية فى أقطار الأرض ، يدعوهم إلى الإسلام ، وأنه رسول الله إلى الناس كافة ، وبهذا وجه الأمة من بعده إلى فكرة الدعوة إلى الإسلام ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

وسار المسلمون من بعده على هذا النهج ، فحملوا الإسلام إلى الناس قاطبة فى جميع أركان المعمورة ، وما زالوا ينادون الناس فى كل مكان ، مبينين لهم أن الإسلام لا يختص بجيل دون آخر ، وليس لطائفة دون غيرها من الطوائف ، و لم يكن دين شعب بعينه ، بل هو دين الناس كلهم .ولهذا جاء مطابقاً للقانون الأساسى فى حياتهم ، وملائماً لأسلوب معيشتهم فى كل زمان ومكان .

Obeikan.com